

## حوار مع المشير أبو غزالة عن : يوم الاغتيال

قوة الإسلامبولى فى إلقاء قبلته جعلتها تنفجر أعلى من المنصة

وضعف طایل فى إلقاء قبلته منع انفجارها داخل المنصة

أول لقاء مع السادات من ٣١ سنة فى العريش

الحوار لا يزال مستمراً مع المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ، والحديث الصريح بيننا فى ذكريات أكتوبر ورائحته المميزة يفتح أبواباً كثيرة كانت مغلقة ...  
ومن الحديث عن يوم القتال ينتقل الحوار إلى يوم الاغتيال .. إلى يوم فقدت مصر أعلى الرجال إلى يوم السادس من أكتوبر قبل عام واحد .. وكان أبو غزالة يومها إلى يسار الرئيس الراحل أنور السادات فوق المنصة الشهيرة  
قلت : يا سيادة المشير .. لو سألتك على طريقة مخرجى أفلام الإثارة عن آخر مشهد لك فوق المنصة ، ما الذى تذكره ؟

قال المشير دون أن أحس إنه يعانى من أى إحساس بجهد استرجاع الأحداث : آخر مشهد أذكره كان بعد انتهاء الضرب .. ضرب القنابل وطلقات الرصاص .. فى هذه اللحظات لم يكن معروفاً لنا جهة الضرب ولا من خلفها أو حجم أو نوع العملية التى جرت .. ولذلك أذكر أن كل تفكيرى تركز وبسرعة تلقائية فى محاولة استيعاب الألغاز العديدة التى ظهرت فجأة خصوصاً مع السرعة الغربية التى جرى بها الحادث ، وانقلب معها مسرح المنصة من كراسى متراصة منظمة ، إلى فلول مبعثرة ممزقة .. ولذلك فإننى أذكر جيداً أننى بعد أن وقفت لم أفكر فى أية إصابة لحقت بى .. وإنما كان كل فكرى فى كيفية السيطرة على القوات المسلحة وفوراً وبأسرع ما يمكن .

قلت : أسف إذا كنت سأقاطعك وأعود بك إلى شريط الحوار الذى جرى بينك وبين أنور السادات فى خلال فترة العرض وأسألك عن آخر جملة كانت بينك وبين السادات قبل أن تقع مؤامرة الاغتيال .

قال وهو يجتهد هذه المرة لتذكر الحوار : اثناء عرض الطائرات كانت كل أنظارنا مركزة عليها ، ولذلك فالذى أذكره أن آخر حديث جرى معه كان قبل الحادث بلحظات ، وكان يدور

حول ما كان يفكر فيه بالنسبة ليوم ٢٥ إبريل .. وكان تفكيره أن يقيم احتفالاً ضخماً جداً بمناسبة إستعادة سيناء فى هذا اليوم طبقاً لمعاهدة السلام ، وأذكر إنه طلب منى فى هذا اليوم أن أجهز له كشوفاً بأسماء كل الذين يجب أن نكافئهم فى هذه المناسبة .

قلت : غريبة .. لقد كان لا يزال هناك نحو ٧ أشهر على مجئ يوم ٢٥ إبريل ، فلماذا كان منه هذا الحديث فى ذلك اليوم عن احتفالات ستجرى بعد فترة غير قصيرة ؟

قال المشير : الشئ الملحوظ إنه كان فعلاً فى قمة سعادته .. وكان أحد أسباب هذه السعادة فرحته بالعرض العسكرى . ولو تذكرت ستجد أن هذا العرض كان قد جرى فى إطار دراسة راعينا فيها عدم المبالغة ، وفى الوقت نفسه عرض النوعيات الجديدة من التسليح ومستوى التدريب الراقى للمعدات الغربية التى إنضمت إلى القوات المصرية قبل العرض بأسابيع قليلة جداً مثل الدبابات إم ٦٠ والطائرات الشينوك . والذى لا يعرفه الكثيرون أن آخر مجموعة دبابات تسلمناها وصلت قبل العرض بثلاثة أسابيع فقط ، وكانت عملية إشراكها فى العرض وما يحتاج ذلك من تجهيز أطقم قيادة لها يعتبر عملاً خارقاً يستطيع العسكرون فى كل العالم أن يعطوه حقه من التقدير .

هل إلى هذا الحد تختلف قيادة الدبابة عن السيارة مثلاً ؟

قال المشير : الذى لا يعرف يتصور أن قيادة الدبابة كما تقول مثل قيادة السيارة ، ولكن الأمر مختلف تماماً سواء من حيث التشغيل أو الحركة أو الفن . ويكفى أن أقول لك أن قيادة دبابة تحتاج إلى عدد ضخم من ساعات التدريب خصوصاً وأننا كنا نتحول من إستخدام الدبابة الشرقية إلى الدبابة الغربية المتقدمة والفرق بين الإثنين كبير . ولهذا حتى الأمريكيون كانوا أنفسهم مذهولين من الجهد الكبير الذى أمكننا به تجهيز كل أطقم الدبابات والطائرات التى وصلت ، وكان من أسباب سعادة السادات يومها أن يرى أسلحة جديدة وصلت قبل أيام قليلة ، وتشترك أمامه فى العرض بقيادة جنود وضباط مصريين .

إنتقل الحوار إلى لحظة الضرب التى سبقها كما يقول المشير إصابة اللورى الذى كان يحمل المتأمرين بما يطلق عليه السائقون إسم " نخعه " وهى حالة تفاجئ أى سيارة إذا نقل قائدها الموتور إلى نقلة أقل من قوة المحرك ، أو إذا أصيبت فجأة بإنسداد فى البنزين ، ولهذا عندما فتح باب العربة ونزل منها الضابط الذى إلى يمين السائق كان فى تقديرى - والكلام للمشير -

إنه نزل لإيجاد وسيلة سريعة يدفع بها اللورى ويتخلص من هذه اللحظة الحرجة التى واجهته أمام المنصة .

كان شريط الذكريات يجرى بسرعة .. وكنت قد إستأذنته أن يحكى لى " بالتفصيل الممل " كل أحداث اللحظات والثوانى التى جرت مهما كانت تفاهتها .

قال المشير وهو يستعيد ذكريات كل المشاهد التى عاشها : أنا عندما نزل الضابط من العربة .. أنا تذكرت الآن إنه كان منغير غطاء فوق رأسه يعنى من غير الخوذة فجأة لقيته فى أيده حاجة رماها .. يمكن فى هذه اللحظة بدأت أشك أن فيه حاجة غير عادية بتحصل ، ولما سمعت صوت إنفجار فوق رؤوسنا أصبح مؤكداً لى إنها محاولة إغتيال ، الطلقات على طول بدأت فى ذلك الوقت .. كانت سرعة غريبة فعلاً .. أكيد كان فيه صراخ ولكن الذى أذكره إنه جذب إنتباهى واحد بيقول : الرئيس .. الرئيس .. معرفتش مين اللى كان بيقول كده ، لكن الذى أذكره أننى بطريقة تلقائية عندما سمعت كلمة الرئيس لقيتتى بأرمى نفسى فوقه ..

فوق مين ؟

المشير : فوق الرئيس

وهو كان لحظتها عامل إيه ؟

المشير : الرئيس نفسه ما أقدرش أقول لك هو عمل إيه ، لأن قبل كده أنا كنت مركز تجاه ضرب النار ، وكل إللى أعرفه إنى رميت نفسى فوقه ، وبعدما سكت الضرب جم شدوه من تحتى وبدأت أنا أقوم .. وزى ما قلت قبل كده إتجه تفكيرى فوراً إلى كيفية السيطرة على القوات المسلحة من موقع مسئوليتى .. كان هناك بعض القادة قد ظهوروا أعطيت لكل منهم أمراً أن يعود فوراً إلى مركز قيادته ويبلغنى كل التفاصيل .. وبعد ذلك ركبت مع الفريق محمد على قائد القوات البحرية عربته وكانت خلف المنصة وطلبت منه بسرعة أن نذهب إلى القيادة العامة إلى غرفة العمليات ولدرجة أنى لم أنتبه أنى كنت لحظتها بدون كاب لأن الكاب كان قد وقع من فوق رأسى .. ولما وصلت مبنى القيادة طلبت من الفريق محمد على ان يذهب فوراً إلى الأسكندرية ليسيطر على القوات البحرية .

قلت : وبعد وصولك إلى مبنى القيادة العامة ؟

قال المشير وهو يتحدث بسرعة كأنه يعيش فى نفس إيقاع الحركة التى كان يواجه بها الأمور فى ذلك الوقت : أول حاجة أعطيت تعليمات إلى قوات الدفاع الجوى إستعدادها خوفاً من أن

العملية تكون أكبر من عملية إغتيال محدودة أو يكون خلفها أى قوة أجنبية ، ولهذا كان من أهداف تعليماتى تأمين الحدود المصرية شرقاً وغرباً وفى كل إتجاه ، وإعطاء أوامرى بإغلاق الأجواء المصرية وأن تكون القوات الجوية مستعدة للتعامل مع أى طائرة أجنبية تقتحم سماءنا

قلت ألقت نظره وكانى أحاول أن أذكره : لكنك على ما أذكر كنت مصاباً وكانت هناك كما ظهر بعض طلقات أصابت " الكاب " الذى كنت تلبسه ؟

قال المشير : أنا كنت أصبت فعلاً والدكتور حضر إلى مكتبى هنا وأنا أصدر تعليماتى العديدة إلى القيادات المختلفة وأتلقى منها بالتليفون واللاسلكى إشارات وتقارير عن أوضاعها . وفى خلال كل ذلك خلعت بدلة الإحتفال لكى يتمكن الدكتور من فحص إصاباتى وأرتديت بدلة أخرى ولكن دون أن أتوقف عن إتصالاتى التى كنت أجريها ، وربما كان السبب فى ذلك ثقى أن إصاباتى لم تكن خطيرة ، والحمد لله فإنها لم تكن كذلك .. فأنا أصبت فى ذراعى ، وفى أذنى وعندى شظية لازالت تحت عيني وبعض الشظايا الأخرى الخفيفة ، ولكن بالنسبة " للكاب " فقد أحضروه لى فيما بعد وهو معروف لأنى إسمى مكتوب بداخله وتبين أن هناك طلقة إخرقته من فوق رأسى مباشرة ..

قلت : هل كنت لحظة وصولك إلى القيادة العامة قد عرفت شيئاً عن مصير السادات ؟  
قال المشير : أعتقد أننى لم أعرف بوفاته إلا متأخراً ، لأن إهتمامى كله كان مركزاً على القوات المسلحة وأيضاً على تأمين الأماكن الحيوية فى القاهرة ولهذا كان هناك إتصال مستمر بينى وبين وزير الداخلية لكى أرتب معه إذا كان يريد مساعدة الشرطة العسكرية .  
قلت وأنا أبتعد عن الحادث وأقترب معه من البطل : سيادة المشير .. هل تذكر أول مرة قابلت فيها أنور السادات ؟

قال على الفور : أنا أذكر ذلك جيداً رغم أن هذا اللقاء حدث من ٣١ سنة وكان ذلك سنة ٥١ وكنت يومها ضابطاً برتبة الملازم أول فى الالاي الثالث بالعريش .. وفى هذه السنة ألغى النحاس باشا (رئيس وزراء مصر فى ذلك الوقت) معاهدة ٣٦ التى كان هو نفسه قد وقعها مع الإنجليز . وقد حدث على أثر هذا أن إستولت القوات الإنجليزية التى كانت موجودة فى معسكرات كبيرة جداً لها فى القناة فى ذلك الوقت على كوبرى الفردان ، وقبضت على فصيلة من الجيش المصرى كانت تحرس هذا الكوبرى . وقد إنفعلنا غضباً ليس لأن هذا الكوبرى هو

الجسر الوحيد الذى يربط بين مواقع وجودنا داخل سيناء وبين مصر ، ولكن إنفعالنا كان للطريقة المهينة التى تم بها القبض على فصيلة حراسة الكوبرى المصرية .

وكان تفكيرنا على ضرورة أن نتحرك ونهاجم الإنجليز الذين إستولوا على الكوبرى رغم أن عددنا لم يكن يزيد على ١٤ ملازماً كانوا موجودين فى الألاى الذى كنت فيه فى العريش وقد أثارت غضبتنا إهتمام قيادات القطاع والضباط الذين كانوا موجودين فى المنطقة ، وفى هذه الأيام إنتقلت لأول مرة بأنور السادات الذى كان ضابطاً فى الآى الإشارة فى منطقة العريش فى ذلك الوقت وقد جاء مجذباً للحس والشعور الوطنى الذى عبرنا عنه برغبتنا فى مهاجمة الإنجليز .. وكان إهتمامه ملحوظاً بإتجاهاتنا وأفكارنا .

قلت سيادة المشير : فى رأيك ماهو أعظم إنجاز حققه السادات ؟

قال على الفور : بدون نقاش أعظم إنجاز عمله هو حرب أكتوبر .

وما أعظم إنجاز فى هذه الحرب ؟

المشير : فى رأى أن مجرد الهجوم وإقتحام القناة وخط بارليف كان أهم منجزاتها .. لأن العقدة التى كانت موجودة فى مصر وفى القوات المسلحة لو تذكر إنه كان المسيطر لو تذكر إنه كان المسيطر علينا جميعاً جيشاً وشعباً بعد ما حدث فى ٦٧ إنه لا حل ولا أمل ولا رجاء ، وإن نكسة ٦٧ أنهت علينا ووضعتنا فى الحضيض .

فكان أهم ما فى حرب أكتوبر هو عبور الخوف وعبور الرهبة وهذا فى رأى إنجاز كبير جداً بصرف النظر عن أهمية النتائج الأخرى لهذه الحرب .

قلت : يا سيادة المشير .. لقد تحدثت فى كلامك عن غاية أى حرب إنها فرض الإرادة وإجراء تغيير سياسى أو إستراتيجى ..

ألا ترى إنه بهذا المفهوم تكون إسرائيل قد كسبت حرب لبنان .

قال المشير متحمساً : بالعكس .. إسرائيل لم تغير الإرادة .. صحيح إنها أحدثت خسائر جسيمة بالمقاومة ونجحت فى إخراج القوة العسكرية لمنظمة التحرير من لبنان ولكنها لم تفلح فى أن تفرغ القضية الفلسطينية من جوهرها .. والحادث فعلاً أن القضية الفلسطينية اليوم عالمياً أقوى مما كانت .

قلت : ولكنى أخشى من تحول الصراع بعد إخراج الفلسطينيين من لبنان .. أقول أخشى أن يتحول الصراع من فلسطينى إسرائيلى إلى فلسطينى عربى ؟

قال المشير : كم واحداً أخرجوهم من لبنان ؟

قلت : ٩ أو عشرة آلاف ؟

قال المشير أبو غزالة : ما بالك بالمليون ونصف مليون الموجودين داخل إسرائيل .. الموضوع إذن ليس موضوع عشرة آلاف مقاتل ، إنما المقاومة الفلسطينية مقاومة شعب ، والشعوب لا تمحى ولا تقتل حتى بقوة السلاح ، الشعب الفرنسى كله كان موضوعاً تحت الإحتلال ايام النازية ولم يكن لديه سلاح ولا رجال ولا أفراد ، وإنما كان يقاوم داخل فرنسا ، المقاومة الحقيقية للشعوب تتبع من داخل كل فرد للشعب ، إنما موضوع تسعة أو عشرة آلاف مقاتل يمثلون المنظمة أنا فى رأى إنهم لا يمثلون مقاومة كل الشعب الفلسطينى .

قلت : ألا تخشى من صدام قادم بين الفلسطينيين والعرب ؟

قال : ولماذا لا تقول أن الغزو الإسرائيلى للبنان أعطى الصدمة الكهربائية للأمة العربية بإحساس الخطر .. وهذا الخطر ينادى الأمة العربية كلها نداء لا يمكن أن يختلف عليه إثنان .. هذا النداء هو إنه لابد من وجود إستراتيجية عربية موحدة لأمن الأمة العربية لابد أن يبدأ التفكير فيها .. أنا معك أن العالم العربى اليوم ممزق ، وهذا التمزيق ليس شيئاً جديداً عليه وأن كان يبدو اليوم واضح . مع ذلك بأننى أعتقد إنهم جميعاً بدأوا يشعرون ويؤمنون بأن هناك خطراً يحتم عليهم أن يقتربوا من بعضهم اكثر .. حتى وأن إستدعى المر أن يأخذ التقارب صورة الدول المشتركة فى مكان جغرافى واحد كما حدث بالنسبة للتعاون الذى تم بين دول الخليج .

قلت : والفت النظر إلى أن هذا الحوار كان قد جرى يوم ٢٩ أغسطس الماضى قبل لقاء قمة فاس - لو تطلعت إلى مؤتمر القمة العربى القادم ، ما الذى تتصوره منهم من أجل مصلحة الأمن القومى العربى ؟

قال المشير أبو غزالة بصوت مرتفع : إن لم تفكر الأمة العربية عربياً ستضيع ، إن لم تؤمن الأمة العربية بإنه لا أمل لها إلا فى مصر قوة مصر فلا حل ...

إن لم تؤمن أن مصر الضعيفة لا يمكن أن تعاون المة العربية وإنما مصر القوية هى التى يمكنها أن تساعد الأمة العربية لا أمل ..

قلت : هل يمكن أن تكون إتفاقية السلام بيننا وبين إسرائيل عقبة فى طريق هذه الأهداف ؟

قال أبو غزالة : إطلاقاً .. إتفاقية السلام فى جانب منها تقول بوجود سلام بيننا وبين إسرائيل ، ولكن فى الجانب الآخر تتحدث عن الحكم الذاتى للفلسطينيين ولا نقاش أن جلوس مصر القوية على مائدة المفاوضات وهى مستندة إلى توازن بينها وبين الآخرين يختلف إختلافاً كبيراً جداً إذا لم يكن لها هذا الظهر الذى تستند إليه من التأييد . تعال نتخيل معاً لو كانت الأمة العربية أيام كامب ديفيد وقفت مع مصر أنا أجزم لك أن الشروط كانت قد إختلفت ... كانت الساعة قد إقتربت من الرابعة مساء .. وقد إستبدلت شريط التسجيل بشريط جديد .. ورغم إحساسى بأنى أطلت وتجاوزت موعدى بأكثر من ساعة فلقد كنت موزع الفكر بين الإستمرار والتوقف .. وقلت وأنا أضبط شريط الكاسيت فى جهاز التسجيل وفى حركة تشير إلى أننى وصلت إلى نهاية الحوار : سيادة المشير .. إن كلمة شريط تعيدنى ثانية إلى شريط ذكرياتك عن حادث المنصة .. ولقد قيل أنهم كانوا يصوبون على السادات وحده ، فهل لهذا نجوت ؟

قال المشير : وهل الذى يصوب على الرئيس وحده يلقى عليه قنبلة يدوية ؟ ثم إنها لم تكن قنبلة واحدة وإنما أربع قنابل .. فكل واحد من الأربعة المشتركين فى العملية كانت معه قنبلة قام بإلقائها .. ولو إنفجرت جميع هذه القنابل كما كان مقدراً لها لنسفت المنصة كلها بالتأكيد . قال المشير مكملاً : القنبلة الولى ألقاها خالد الإسلامبولى وخالد كان بنيان جسمه وعضلاته قوية ولذلك ألقى القنبلة بقوة لدرجة أنها إرتفعت إلى أعلى وإنفجرت وهى مرتفعة ولم تؤثر على أحد لأن شظاياها عندما سقطت من موضوع إنفجارها العالى ووصلت إلى الجالسين فى المنصة كانت قد فقدت تأثيرها القاتل .. ففوة خالد لحسن الحظ هى التى أنقذت المنصة من إنفجار قنبلته داخلها .

بعكس خالد الإسلامبولى الذى كان بنيان جسمه قوياً كان حسين طایل .. حسين كان جسمه ضعيفاً وعندما ألقى قنبلته فإنها سقطت بسبب ضعفه أمام المنصة وإرتطمت بحاجزها وهذا الحاجز أنقذ الذين كانوا خلفه من تأثيرها .

القنبلتان الأخريان لم تنفجرا .. ومنهما قنبلة إرتطمت بوجه الفريق عبد رب النبى رئيس الأركان وتم إجراء ٨ غرز له فى وجهه وأثارها لازالت ظاهرة .. (هناك قنبلة مثبتة فى حيثيات الحكم الذى أصدرته المحكمة العسكرية عثورهم عليها على نفس الكرسى الذى كان

يجلس المشير عليه ولكن لحسن الحظ كان فتيل هذه القنبلة منزوعاً إلى نصفه فقط لأن الذى ألقاها بلغت به سرعته إلى حد إنه لم يستطع جذب كل الفتيل) .

قال المشير : هذه القنابل كان هدفها حصد أرواح الذين على المنصة .. ومع ذلك مات من مات وعاش من عاش .. من الذى إختار لهذا أن يموت ولهذا أن يعيش .. ربنا وحده الذى أراد .. أما إذا كان عليهم فأنا أؤكد لك إنه بالقنابل الأربع والرشاشات الكارل جوستاف التى كانت معهم وكل رشاش به خزينة محشوة بـ ٢٠ طلقة ، فإنهم كانوا واثقين إنهم سينسفون ويقتلون كل من على المنصة .. ولكن كانت هناك الإرادة التى هى أكبر من إرادتهم ومن مفاجأتهم ومن كل الإرادات ..

وأحسست بالجهد الذى أصابه من طول الحوار .. لم يدخن سيجارة واحدة .. لم يشرب نقطة ماء أو فنجان شاي أو قهوة .. ولم نضع لحظة واحدة منذ دخلت إليه مكتبه فى مقر وزارة الدفاع فى كلمة مجاملة واحدة .. وإنما من أول لحظة حاولت إستثمار كل الوقت لسماع أقواله .. كشاهد إختلف موقعه فى يومى ٦ أكتوبر ٧٣ و ٦ أكتوبر ٨١ ، ولكنه فى كلا الموقعين كان قريباً من أهم أحداث اليومين .. يوم القتال .. ويم فقدت مصر رجلاً من أعظم الرجال